

من سواها واضبط . (ثالثاً) انما في ريب من اسم التاسخ « اصلان بن الرؤي » وهو لا يشبه في شيء اسم انتصارى . فنطلب ال حضرة الكاتب ان يبيح عن نسخة اخرى او يزيدنا علماً بهذه النسخة وورثها وخطها وغير ذلك مما ينفي الريب وييط قناع الشك وله الشكر لئلا

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقق والعلامة المدقق الاب انتاس الكرمي (تابع لما سبق)

(د) «ايوان كسرى او طاق كسرى» الاسم الاول هو اسمه عند العرب في سابق الزمان . والاسم الثاني هو اسمه في هذا اليوم وقبلة ايضاً . وقد ذكرنا في كلامنا عن طينسون كيفية بناء الايوان وعلى يد من وقد ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب كلاماً مشبهاً عن هذا الايوان . وكما ان الكتاب غير مطبوع . احيينا نقل كلامه . قال :

«ايوان كسرى . يضرب به المثل للبناء الرفيع العجيب الصفة التمامي الحفانة ولانه من عجائب ابناء الدنيا ومن احسن آثار الملوك وهو بالمدين (اي بطيسون) من بغداد على مرحلة . بناه كسرى ابرويز في ثقب وعشرين سنة . وتأتى في تأسيسه واتقانه وتحسينه . فلما تم كان من خصائصه الثاني عشرة التي لم يعطها ملك قبلة . وقيل بناه انوشروان . (والصحيح في كل ذلك ما اسلفنا ذكره في طيسون) وهو الذي بنى الباب ايضاً . وانشدني الرزباني لنفسه :

قلت لآ رأيت في تصور مشرفات الابواب والايوان
عك كسرى كسرى الملوك انور مروان باني الابواب والايوان
اي شكر ترجوه في اذا لم تفضل لي حاجتي وتعدل ثاني

وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف ان بانيه سابور ذر الاكتاف . ومن وصفه : ان طوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في سلك مائة ذراع (وكذا قال ايضاً الايشيهي (١٢٧:٢) وهو متخذ من الآجر الكبار والجص . قلت : وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (١:٢٥٠) ان طول الآجرة نحو ذراع في عرض اقل من شبر) ونحن الازج خمس آجرات وطول الشرف خمسة عشر ذراعاً (وزاد على ذلك الاصطخري في مسالك الممالك قائلًا : وليس في مباني الاجر ما هو أبهى ولا اتم حسناً منه) ولما بنى

المتصور مدينة السلام أحب ان يقض ايوان كسرى ويبنى بنقضه الابنية فاستشار خالد ابن برمك في ذلك فنهاه من نقضه فقال: « يا امير المؤمنين انه آية الاسلام . فانه اذا رآه الناس علموا ان من هذا بناؤه لا يزيل أمره الا الانبياء وهو مع هذا صلى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه والمرونة في نقضه وعدمه اكثر من الاتفاق به . » قال المتصور: « يا خالد آيت الأ ميلأ الى العجم . » وأمر يهدمه . فهدمت منه ثلثة فبلغ المصرف عليها ما لا كثيرا . فأمر بالاضراب عن هدمه . وقال: « يا خالد قد ضربنا الى رأيك . » قال: « اما الآن أشير يهدمه . » قال: « فكيف . » قال: « لتلا يتحدث الناس انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك . » فتركه على حاله . فكان المأمرون يقول: قد جيب الي هذا الكلام ان لا ابني الأ بناء جليلا يصعب هدمه . قال الجاحظ: « قال قاسم التتار: وأيت ايوان كسرى كائتا فرغت منه الايدي أقل من امس . » قال البرد: « تذاكر حذيفة وسليمان أمر الدنيا . فقال سليمان: ومن اعجب ما تذاكرنا صدره عتاب العامري سرير كسرى . وكان اعرايا من عامر يرمي شوحات له . فاذا كان الليل صيرها الى عرصة ايوان كسرى وفي العرصة سرير رخام تقصد غنيمات الى السرير وكان كسرى كثيرا ما يجلس عليه . » ومن ضرب المثل بايوان كسرى ابن الرومي وغيره . وقال البحتري من قصيدة :

وكانَّ الايوان من عجب الصنعة م حورٌ جَبِينِ أرْمَنَ روسِ

كذا وفي رواية اصح :

حوبٌ في جنبِ أرْمَنَ جلسِ

لم يُبِنُه إن بُرِّينَ بَطِّ الدِياجِ م واسْتَلَّ من سَورِ الدَغْبِ
بُشَجْرٌ تُطَوَّى لَهُ مُرْقَابٌ رُفَعَتْ في رُؤُوسِ رَضْرَى وَقَدْسِ
ليسَ يُدْرَى أَسْتَعِ انْسِ يَلِينِ سَكُونُهُ ام صُنْعِ جِنِّ انْسِ
غيرَ أنِّي اراهُ يَهدِمُ ان لم يَكُ بانِيهِ في المَلُوكِ يَنْكُسرِ

انتهى كلام الثعالي . (قلت) : ومن ذكر الايوان ابن الحاجب (في معجم

البلدان لياقوت ١ : ٤٢٦) وهذه آياته :

يا من بناء بشامتي البيان أنبت صنع الدهر بالإيران
هذي المصانع والساكرو والبنا وقصور كبرانا انوشروان
كب الليالي في ذراها أسطرا بيد اللي وانامل المدنان

ان الموادث والمطرب اذا سمت اوردت بكل مؤثر الأركان
والايوان ليس اسم القصر كما توهمه صاحب الهلال في رواية « فتاة غان » بل
هو اسم الايوان فقط كما يدل لفظه على معناه . اماً القصر فكان يُسَمَّى بالقصر الابيض
او ابيض المدائن (راجع كتاب فتح البلدان للبلاذري ص ٢٦٢) او ابيض كسرى
(اطلب ابن الاثير ٢ : ١٩٧ و ١٩٩) . وكان بين الايوان ودجلة بسايتين غناً وحدائق
اشجارها غيا . حتى اذا وصلت الى النهر وقتت على المسناة وابت في دهر وعجب
مما تراه . واذا اطلقت طائر بصرك الحائر يحوم حول حيطان القصر فلا يمكن ان يقع
على موضع الا وزينه رسم او حفر او كتابة (راجع حسن المحاضرة ١ : ٣٠١ والمريزي
٣١ : ١) . وعلى جانبي الباب الاكبر المطل على المدينة قائمتان عليها تمثالان كبيران متماثلان
متواجهان بصرة ثور اشوري كبير مجتجح ويراس انسان طويل اللحية وعلى مفرة تاج
ملكي (عن مؤلفي الافرنج في وصفهم لايوان كسرى) . واذا اردت دخول الايوان
مرت على ارض تدهشك بهجيب ما تطأه من الصور . فان الطريق مزينة بانواع
الخصباء اللونة تمثل مشاهد ومعارك ومذابح وفيها انواع الناس بازياء مختلفة ومن امهم
شئى . وهناك فرسان وركبان وملوك يتيجان على مراكب وعجلات ومن حولهم بعض
من حاشيتهم . وامامهم اساررة يذألون على خيولهم طالبين صيد الاسود ومتأثرين حمر
الوحش التي كانت يومئذ في اللوات وما بين النهرين . وكل هذه الصور متقنة الوضع
ومحكمة الصنع كأنها من خلق الطبيعة . ومن اعظم الطرق التي كانت تتشعب حول
القصر وداخله النجج المؤذي من باب القصر الاعظم الى الايوان يصطف فيه عادة
حرس كسرى قائمين حوله ساطعين عند دخوله قصره . وفي زاوية من زوايا الحديقة بناء
فخيم تقصر فيه الثيلة الداجنة والسياع المضرة

واذا راقت كسرى الى الايوان ودخلت الازج منه وجدت الايوان المذكور مبنياً
على ساباطٍ مقننه واحد كما يتحققه من يرى اثره الى هذا اليوم . وفي داخل الايوان عمد
من الرخام المنقوش وفي صدره عرش كسرى مرصع بالجواهر والحجارة الكريمة يجلس
عليه الملك عند عنده الجالس ومن حوله جماعات من الناس على اختلاف طبقاتهم
ومراتبهم وخططهم على نمط عجيب وكانت طبقات خاصته ثلاثاً : الاولى الاساررة
وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة اذرع وهم

بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم. وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة اذرع من الاولى وهم رجوه المرازبة وملوك الكون (ويروي: الكور) والميسرون بباب الملك والمرازبة وهم الأضهبندية من مملكة الكون (الكور) في ايامه. والطبقة الثالثة كانت رتبها على قدر عشرة اذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية. واهل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والمزل. غير انه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خيسن الاصل ولا وضع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول او القصر ولا ووف ولا مرمي بأبنة ولا ذي صناعة دينية كاهن حائك او حجام ولو كان يعلم النيب او حوى كل العلوم مثلاً (عن مروج الذهب ١: ٢٨٤ وفي طبعة باريس ١٥٣: ٢-١٥٨)

ومن فوق راس الملك قبة عجيبة قد تزلت فيها نفائس الحجارة والمعادن تزيلاً عجيباً وفي داخلها مرزحة من ريش النعام وعلى الملك ستارة موكلة بها رجل من ابنا. الاساورة يقال له « خرم باش » فاذا غاب هذا الرجل وكيل به آخر من ابنا. الاساورة وذوي التحصيل وتسي بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب في هذه المرتبة ووقف هذا المرقف وتفسير ذلك: « كُنْ فُرحاً ومسروراً » (عن المسعودي ١: ٣٠٧. روى على حيطان الايوان رسوم ملونة وزخارف مختلفة تصور تمثل آلهة جابرة وسباعاً ضارية كاسرة ومشاهد حروب جديدة وغابرة (عن التزويني ص ٣٠٤ من طبعة كوتسكن) ومن هذه التصاوير والنقوش صورة انوشروان مرمم الايوان وغيره ممن تقدمه في سالف الزمان من ملوك آل ساسان أو من سلاطين دول أخرى رقيقة الشأن (عن ياقوت ١: ٤٦٦ بتصرف في البسط) وفي أعلى الحائط ووسطه وأسفله آيات شرعية باللغة الفهلوية والدريية والفارسية والحوزية ومكتوبة بحرف سريانية وهي الحروف التي كان يكتب بها الفرس قبل الاسلام. وفي سقف الايوان تصاوير مختلفة تمثل هيئة السماء بنجومها دكواكها وافلاكها وبرجها متزلة في قبة زرقاء لازوردية بالحجارة الكريمة والذهب الابريز والفضة الخالصة ركنت اذا رقيت الى سطح الايوان رأيت شراريف مزخرفة بانواع الصور المحفورة فيها حفرأ دقيقاً متقناً كأن انهار الحياة تندقق فيها تدققاً ولا يتقصها الا التنفس لتشاطرك الوجود وما يلحقه من ترابيه. وهذه الشراريف تطل على نواحي القصر الارباع بطول كل شرافة على ما قاله الابشيهي

(١٢٧: ٢) خمسة عشر ذراعاً . ولما اراد الخليفة نقض هذا القصر ابتدا بهدم شرافته واحدة وحسب ما اتفق عليها فوجد ان نقضها يتكلف بقدر بنائها (عتبه وفي تلك الصفحة)

وباب الايوان كبير قد نقش على عتبه النليا صورة الشمس مذهبة وكانت الهمة الفرس في ايام مجوسيتهم . والى كل من جانبي الباب مثال اسد كأنه يحاول المشي وعتاه تقدهان شراراً والاسدان منحوتان من الرخام معلقان بالذهب الابرير وفي موضع السنين منها ذرذتان زرذوان بديتا الشكل . واما عتبه السفلى فتخذة من الرخام المانع ملخص بتصرف عن جورج سميث ورولتسن وچسني وغيرهم من مؤرخي الافرنج واثار يميم)

وخلاصة القول في هذا الشأن . ان منظر هذا الايوان . العجيب الاتقان . هو من غريب ما جاءت به عقول ابناء الزمان . حتى انه حير الاذهان . في كل عصر وان . وعدته العامة من تلك البيان . التي هي من صنع الخان . لا من الانسان . كما رواه ابن خلدون في مقدمته (ص ٣٠١ من طبعة بيروت ١٨٨٦)

عندما ما كان عليه الايوان قبل ظهور الاسلام ولما فتح العرب طينقون احرقوا جانباً عظيماً من هذا القصر البديع فاخرجوا منه من الذهب على ما نقله الابشهي الف الف دينار (١٢٧: ٢) ثم تصرف بما بقي منه الخليفة المنصور على ما اسلفناه في صدر هذه اللمعة بحيث انه لم يبق منه الى هذا اليوم الا ما يشهد بصدق وجود مثل هذا ال اثر العظيم الخليل في غابر الزمان

الى هنا انتهى ما نقلناه عن كسرة العرب بخصوص ما جاء عن هذه المدن الشهيرة التي اصبحت اليوم في خبر كان . اما الافرنج فلم يعرفوها ولم يتكلموا عنها الا في هذه القرون المتأخرة وقد اصبحت اليوم كتبهم اغز من اثم الاسد . الا ان يدي قد وقعت على بعض ما كتبه هؤلاء الاجانب فأسرع في تربيته واتحاف اصحاب المشرق به ليطامروا على آراء اولئك الكتابة في تلك السنين وكيفية تدوين الافرنج لكل ما يسمونه وروونه فيروونه على علاته

ولول من نبه انكار الارريين على هذه الاطلال الدارسة هو بياترو دلا قالى (Pietro della Valle) وهذا كلامه : « وبعد ان سرنا في البلد نصف ساعة وجدنا ضالنا

تَبَا وهي أخرة بناء قديم يمتدُّه جهة اليهود هيكَل مجت نَصْر الذي وضع فيه تمثال الذهب وأمر الناس بالسجود له على ما هو مذكور في التزويل العزيرى. وهو في الظاهر لا يخلو من شبه من جهة الوطن لان الكتاب يقول: أقيم التمثال في سهل وهو وان لم يكن قريباً من بابل فهو على الاقل في قُطر بابل الذي رُبما كان ممتداً الى هنا. غير اني وجدتُ امرأً فرجياً ان تُرى رسومهُ باقيةً الى عهدنا هذا مع قدم ذلك البناء المشهور وعلمي انه لم يُبنَ من الحجارة. فألتُ حيتنذُ المسلمين وعليهم اعتمد في مثل هذه الظروف اذ انهم اوسع علماً من اليهود فقالوا لي ان هذا البناء يسمى «طاق كسرى» اي رواق قيصر (كذا بجره). وعلى قولهم انه بُني في الوطن الذي كانت فيه طيسفون تلك المدينة التي رفع دعائمها ملوك الفرس من الدولة الاخيرة وكانوا قد حذوا حذر الرومانيين في تسمية ملوكهم «بالتياصرة» (كذا). والكاتب في وهم ظاهر والاصح ان ملوك الفرس كانوا يسمون بالاكاسرة وملك الروم بالتياصرة كما هو مشهور) وعلمتُ ان ذلك الطلل كان معرّفاً في التاريخ وفي كتب البلدان الفارسية. وسوف ابذل ما في الطاقة للحصول اليها والحصول عليها. قال فردينان هيفر (Ferd. Hoefler) بعد ايراد هذا النص: «ومن ثم يجوز لنا ان نستنج هذه النتيجة الظاهرة وهي ان مدينة طيسفون كانت في ذلك الوطن في زمان حرب ماركنا العظام لملوك الفرس او الملوك الاشكانيين وجميع كتب التاريخ التي تتكلم عن هذه الحروب تذكر هذه المدينة الذائعة الاسم. وعلى ما تقدم ازيد هذه النتيجة الثانية وهي ان سلوقية كانت في ذلك المكان ايضاً لان اسطرابون يشهد شهادة بينة ان طيسفون ليست الا ريفاً لسالوقية وان بانها من الملوك الاشكانيين وقد شيدوها في نية ان لا يزاحوا تلك المدينة بما في بلاطهم من الخدم والحشم ولكثرة ما يلزم لهم من المنازل لا يروا جيش الاسكيثيين الذين كانوا يبعرونهم دائماً حينما كانوا يأتون ليشبوا في هذه الاقطار نظراً لحر أديبها لأنهم كانوا يصيرون في جرجان او في همدان. وان هذا الريف ازداد سكانه مع مرور الزمان واتسع نطاقه لاقامة أناس فيه وكان عددهم اي عدد حتى ان هذا الريف اصبح مدينة زهراء.»

وزاد المؤلف قائلًا: وعليه فان كان ما اوردها لا يبدو طور الحقيقة فن الموسكد المبت الرامن ان سلوقية وطيستون كانتا مدينتين متجاورتين وحواليهما مدن أخرى

اضر منها ولهذا سمي العرب هذه البقعة المشتة على الماصتين وعلى تلك المدن الصغيرة «الدائن» كأن هاتين المدينتين ولواحقهما اعتبرت لتجاورهن مدينة واحدة فسيت باسم واحد مجروح اشارة الى ما فيها من التجمع والتضام. وفي هذا الصدد قال أغاثياس (Agathias) وهو من مؤرخي اليونان في القرن السادس) متكلماً عن كسرى: ان جيوش الكروب دامت وواسوس النفس ماوردته لتنوط رقع في صدره اثر اندحار عسكره على مقربة من قطره فنقله اليه خدماً على اياديهم قبل دبره. ومن هذا يتضح ان هذا الكاتب قد لبس عليه امر هاتين المدينتين حتى انه عدّها شيئاً واحداً. وما عدا هذا الدليل فان سفر القديسين الروماني يذكر في اليوم ٢١ من نيسان عيد القديس سمعان اسقف طيفون وسلوقة معاً. وهذا ما يدعم مقالنا ويؤيد رأينا. وما يدعوه عرب يومنا هذا بالدائن قد ترجم بطيفون في كتاب بلدان فارسي هو في المنزلة الاولى عند اهالي العجم. وصاحبه كاتب بارع على ما نقل الي ولعل سبب تسمية المدينتين بطيفون وحدها لأنها هذه كانت قد عفت آثار الاولى وبقيت هذه حية بعد موت تلك وكما ان هاتين المدينتين كانتا متجاورتين وكانتا معتبرتين بناء واحداً اعتبرت سلوقية من بلاد ما بين النهرين او الجزيرة على ما رأيت مؤيداً في كتاب تختصر في تخطيط البلدان. واتصور انها كانت على الضفة اليسرى نحو شطر دجلة في غربه الاقصى أما طيفون فيعكس ذلك كانت واقعة على الضفة اليسرى ونحو شطره الشرقي الذي أقيم فيه ايران كسرى «اه (البقية للآتي)

الخط العربي

نخبة من كتاب صبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي
عني بشرها الاب ل. شيخو السوي (تابع لاسين ص ٢٢٨)

الفصل الثالث عشر

في مندرة المروف ومرفة اعتبار صحتها ونمن نذكرها على ترتيب المروف

الألف قال الوزير ابو علي ابن مقلة: وهي شكل مركب من خط منتصب يجب ان يكون مستقيماً غير مائل الى استقامة ولا انكباب. (قال) وليست مناسبة لطرف

في طول ولا قصر